

مختصر من دروس الفصول من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (٦-٩)

الشيخة أم عبدالله حفظها الله

بنت الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله

<https://omabdullahalwadeai.com>



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



٦) مقتطف من دروس الفصول في سيرة الرسول فوائد لغوية:

«الاثنين» بهمزة الوصل، سمي بذلك؛ لأنه ثاني الأسبوع، ولا يثنى؛ لأنه
مثنى، وجمعه أثنانين. «حاشية الروض المربع» (٤٤٧/٣) لابن القاسم.
وكون همزته همزة وصل وليس همزة قطع هذا على الصحيح؛ لأن الاسم إذا
نُقل إلى اسم فتبقى الهمزة همزة وصل.
قال سيبويه في «الكتاب» (١٩٩/٣): ولو سُمِّيَتْ (رجلا) انطلاقا لم تقطع
الألف؛ لأنَّك نقلت اسماً إلى اسم.



ما هو أول أيام الأسبوع؟

مختلف فيه:

وقول أكثر أهل العلم أن أول الأسبوع يوم الأحد، والاثنين اليوم الثاني.

قال ابن سيده في «المحكم» (١٤٢ / ٢): والأربعاء، والأربعاء، والأربعاء:

اليوم الرابع من الأسبوع؛ لأن أول الأيام عندهم الأحد؛ بدليل هذه التسمية، ثم الاثنين، ثم الثلاثاء، ثم الأربعاء.

وقال القاري في «مرقاة المفاتيح» (١٤٢١ / ٤): قيل: وسُمِّي الاثنين؛ لأنه ثاني الأسبوع، والخميس؛ لأنه خامسه. كذا نقله النووي عن أهل اللغة.

قال ابن حجر: هو مبني على أن أول الأسبوع الأحد، ونقله ابن عطية عن الأكثرين، لكن قال السهيلي: الصواب أن أول الأسبوع هو السبت، وهو قول العلماء كافة.

والقول بأن أول أيام الأسبوع الأحد هو الذي اختاره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٣٥ / ١٧)، ونص عبارته: وفي أول الأيام يقال: يوم الأحد. فإن فيه - على أصح القولين - ابتداء الله خلق السماوات والأرض وما بينهما، كما دل عليه القرآن والأحاديث الصحيحة؛ فإن القرآن أخبر في غير موضع أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وقد ثبت في الحديث الصحيح المتفق على صحته أن آخر المخلوقات كان آدم خلق يوم

الْجُمُعَةِ، وَإِذَا كَانَ آخِرُ الْخَلْقِ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دَلٌّ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُ كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ؛
لِأَنَّهَا سِتَّةٌ. اهـ المراد.

ومن أهل العلم من جعل أول أيام الأسبوع أول أيام الخلق، وهو يوم السبت؛
اعتمادًا على ما رواه مسلم (٢٧٨٩)، والنسائي في «الكبرى» (٢٠ / ١٠) عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي، فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ
الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا
الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي
آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ».
والحديث قد أُعْلِيَ.

وهذا قول الشيخ صالح الفوزان كما في مقطع صوتي له.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨٧٦) عَنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ
سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، بِيَدِ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ،
فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعُ الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ

غَدِ»-: في الحديث دليل أَنَّ الْجُمُعَةَ أَوَّلُ الْأُسْبُوعِ شَرْعًا، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَسْمِيَةُ الْأُسْبُوعِ كُلِّهِ جُمُعَةً، وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْأُسْبُوعَ سَبْتًا كَمَا سَيَأْتِي فِي الْإِسْتِسْقَاءِ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُجَاوِرِينَ لِلْيَهُودِ فَتَبِعُوهُمْ فِي ذَلِكَ.

كذا ذكر الحافظ، مع أن شيخه العراقي في «طرح التثريب» (٣/ ١٧٠) قال عن هذا الحديث: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْجُمُعَةَ أَوَّلُ الْأُسْبُوعِ، وَلَا أَعْلَمُ قَائِلًا بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



أسماء أيام الأسبوع هل هي أعلام؟

قال أبو حيان في «الارتشاف» (٢/ ٩٦٧): و (أل) في أسماء الأيام ليست للتعريف، بل أسماء الأيام في مذهب الجمهور أعلام، تُوهِّم فيها الصفة، فدخلت عليها (أل)، وذهب أبو العباس إلى أن (أل) هي المعرفة، فإذا زالت صارت نكرات.



فائدة:

أسماء أيام الأسبوع في الجاهلية غير أسماء الأسبوع العربية؛ فقد كانت تسمى:
(أول، أهون، جبار، دبار، مؤنس، عروبة، شيار)

قال بعض شعراء الجاهلية:

أؤمّل أن أعيش وأنّ يومي... بأوّل أو بأهون أو جبار

أو التّالي دُبار أو فيومي... بمؤنس أو عروبة أو شيار

«جمهرة اللغة» (٣/ ١٣١١) لابن دريد.



في أي يوم ولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

ولد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين كما ثبت في «صحيح مسلم» (١١٦٢)

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه وفيه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ قَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ» الحديث.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢ / ٣٢٠): وَهَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّهُ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ.

وفي أي شهر ولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

في شهر ربيع الأول، هذا هو المشهور، والصحيح عند أهل العلم.

وليس عندنا ما نجزم بتعيين اليوم، وهذا يفيدنا أن الذين يحتفلون بالمولد النبوي مبناهم على خيال؛ لأنه غير مؤكد في تعيين اليوم.

وفي أي عام ولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

وُلِدَ عام الفيل. أي: قبل البعثة بأربعين سنة؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ على رأس أربعين سنة من عمره.



مسألة:

الاحتفال بالمولد النبوي: أهل العلم على أنه بدعة ما أنزل الله به من سلطان؛
لما روى البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ
مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ
بِدْعَةٌ»، وكل لفظ من ألفاظ العموم، ثم لو كان هذا خيرًا لسبقنا إليه الصحابة
والتابعون؛ فإنهم أهل السبق والفضل، والله أعلم.



فائدة:

الشاذ عند النحويين: ما خالف القواعد. (أي: خرج عن القواعد النحوية).

الشاذ عند أهل الحديث: مخافة المقبول لمن هو أولى منه.

الشاذ عند أهل الفقه: ما خالف الدليل.

هذه الثلاثة الأولى استفدتها من والدي رحمه الله.

الشاذ في علوم القرآن: ما جاء بطريق الآحاد.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح ألفية ابن مالك» في تعريف الشاذ عند النحويين: والشاذ معناه: أنه مخالف للقياس.



الإرهاصات هي:

الخوارق التي تكون بين أيدي النبي الذي سيُبعث؛ ففي «السيرة الحلبية» (٣/ ٣٩٠): الإرهاصات: الأمور الحاصلة له بين أيدي أيام مولده وبعثته، وقبل ذلك من الأمور الخارقة للعادة الغريبة الموهنة للكفر، التي يعجز عن بلوغها قوى البشر، ولا يقدر عليها إلا خالق القوى القدر؛ لأنها في الاصطلاح يقال لها: إرهاصات وتأسيسات للرسالة، ولا تسمى في الاصطلاح معجزات. اهـ.

* بعض الإرهاصات قبل بعثة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- عام الفيل: جاء جيشٌ كبير، أبرهة الحبشي ومن معه؛ لهدم الكعبة، فحماها الله منهم، وحبسهم عن دخول مكة، كما قال الصحابة: خلأت القصواء،

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل». فهذا من الإرهاصات، منعهم الله عن الدخول، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل، فجعلهم كعصف مأكول، أي: كزرع أكلته البهائم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «زاد المعاد» (١ / ٧٤): وَكَانَ أَمْرُ الْفِيلِ تَقْدِمَةً قَدَّمَهَا اللهُ لِنَبِيِّهِ وَبَيْتِهِ، وَإِلَّا فَأَصْحَابُ الْفِيلِ كَانُوا نَصَارَى أَهْلِ كِتَابٍ، وَكَانَ دِينُهُمْ خَيْرًا مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عِبَادَ أُوثَانَ، فَنَصَرَهُمُ اللهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ نَصْرًا لَا صُنْعَ لِلْبَشَرِ فِيهِ؛ إِرْهَاصًا وَتَقْدِمَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَتَعْظِيمًا لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ.

-شق صدره وهو صغير يلعب مع الصبيان.

-أن الله بغض إليه عبادة الأوثان، فعن جَارِ لِحَدِيحَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ لِحَدِيحَةَ: «أَيُّ خَدِيحَةَ، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ أَبَدًا». قَالَ: فَتَقُولُ خَدِيحَةُ: خَلَّ اللَّاتَ، خَلَّ الْعُزَّى. رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (٢٩ / ٤٦٧).

-أنه كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

-تسليم الحجر عليه، روى مسلم (٢٢٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

-قصة بحيرا الراهب، وفيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جلس، وفاء ظل الشجرة عليه.



متى كانت وفاة أبوي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

توفي عبد الله أبو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمه آمنة حبلى به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو المشهور، وهو قول جمهور أهل السير، وصححه ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٧٥)، وقال: وَاخْتَلَفَ فِي وَفَاةِ أَبِيهِ عَبْدُ اللَّهِ، هَلْ تُؤْفَى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْلٌ، أَوْ تُؤْفَى بَعْدَ وَلَادَتِهِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ تُؤْفَى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْلٌ.

أما عن وفاة أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

توفيت أمه وكان عمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ست سنين على المشهور، فقد خرجت به إلى المدينة تزور أهلها، وعند رجوعها توفيت بالأبواء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد» (١ / ٧٥): وَلَا خِلَافَ أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ «بِالْأَبْوَاءِ» مُنْصَرَفَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ زِيَارَةِ أَخْوَالِهِ.

كم كانت مدة الحمل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

قال مغلطاي الحنفي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى» (٦١): واختلف في مدة الحمل به، فقليل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة، وقيل: ستة. اهـ.

وهذه أقوال لا دليل عليها، سوى القول الأول؛ لأنه هو المعهود من مدة الحمل، وأنه تسعة أشهر.



من مسائل الرضاع:

قال المباركفوري في «الرحيق المختوم» (٤٦): وكانت العادة عند الحاضرين - يعني: أهل الحضر - من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم؛ ابتعاداً لهم

عن أمراض الحواضر؛ لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم. اهـ.

فنستفيد: أنهم كانوا يطلبون المراضع لأولادهم. ويُسمى الموضع ظئراً، وجاء الشرع بإباحته، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٣) ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ولو أن الأم طلبت أن ترضعه، وقال الأب: ترضعه غيرها أجبر الأب على موافقة الأم؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فبدأ بـ ﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾ [البقرة: ٢٣٣]؛ لأن الأم أشفق، ولبنها لطفلها أطيب؛ ولأن ذلك أدعى إلى التعاطف بين الأم وولدها. اهـ.

-هل تحتاج الأم وهي في عصمة زوجها إلى أجره الرضاع؟

فيه قول: أنه يلزم الزوج أن يعطيها أجرة، ولكن ليس بصحيح لا يلزم أن يعطيها أجرة؛ فهو ينفق عليها وهذا كافٍ، كما قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.



أمهات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة:
- حليلة السعدية.

- وثوية، روى البخاري (٥١٠١)، ومسلم (١٤٤٩) عن أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، انكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: «أَوْثُبَيْنَ ذَلِكَ»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرِ أُخْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي». قُلْتُ: فَإِنَّا نَحَدِّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ؟ قَالَ: «بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَا بِنْتُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثَوْبِيَّةً، فَلَا تَعْرِضَنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ».

وثوية أرضعت حمزة أيضًا عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وهي التي أعتقها أبو هب لما بشرته بولادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما روى البخاري (٥١٠١) عن عُرْوَةَ مَرَسَلًا: وَثُوبَةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي هَبٍ: كَانَ أَبُو هَبٍ أَعْتَقَهَا، فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو هَبٍ أَرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حَبِيبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو هَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بَعْتَاقَتِي ثُوبَةَ. يعني: أن سُقي قليلاً من الماء لا يُذكر بسبب عتاقه ثوبَةَ.

*** وهل حليلة السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى مسلمان؟**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «زَادَ الْمَعَادَ» (١ / ٨١): وَاخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِ أَبَوَيْهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ عَنْ ثُوبَةَ فِي «زَادَ الْمَعَادَ» (١ / ٨١): وَاخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِهَا، فَاللهُ أَعْلَمُ.



حادثة شق صدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صغير

شق فؤاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صغير ثابت في «صحيح مسلم»
(١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ،
فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ
غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ
الْغُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي: ظِئْرَهُ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ
مُتَتِّعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ.

(ثُمَّ لَأَمَهُ) أي: جمع بعضه إلى بعض، (ظِئْرَهُ) أي: مرضعته، (مُتَتِّعُ اللَّوْنِ)
أي: متغير اللون، (وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ) المخطط الإبرة.

وكان في السنة الرابعة حسب ما جزم به العراقي في «ألفية السيرة
النبوية» (٣٧):

أقام في سعد بن بكر عندها... أربعة سنين تجني سعدًا
وحين شق صدره جبريل... خافت عليه حدثًا يؤول

ردته سالمًا إلى أمته... وخرجت به إلى المدينة

تزور أخوالا له، فمرضت... راجعة، وقبضت، فدفنت
هناك بالأبواء، وهو عمره... ست سنين مع شيء يقدره

(٧) مقتطف من دروس الفصول في سيرة الرسول

ترجمة مختصرة لأم أيمن رضي الله عنها

أم أيمن رضي الله عنها اسمها بركة الحبشية، من الصحابيات الفاضلات، ومن المهاجرات، حضنت النبي صلى الله عليه وسلم من بعد وفاة أمه. وقد كانت أمة لعبد الله، فورثها النبي صلى الله عليه وسلم من أبيه، ثم أعتقها، وقد جاء هذا عند الإمام مسلم إثر حديث (١٧٧١): قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّ أَيْمَنَ أُمُّ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيفَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَتْ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا تُوفِّيَ أَبُوهُ، فَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُهُ حَتَّى كَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْتَقَهَا، ثُمَّ أَنْكَحَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، ثُمَّ تُوفِّيَتْ بَعْدَ مَا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ. وهذا مرسل من مراسيل ابن شهاب، فالله أعلم.

وكانت مربية محبة له ناصحة؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لها بمنزلة الولد، حتى إنها ربما كانت تصيح عليه وتغضب، كما في «صحيح مسلم» (٢٤٥٣) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَنَآوَلْتُهُ إِنَاءً فِيهِ شَرَابٌ قَالَ - فَلَا أَذْرِي أَصَادَفْتُهُ صَائِمًا أَوْ لَمْ

يُرْذُهُ- فَجَعَلَتْ تَصْخَبُ عَلَيْهِ وَتَذَمَّرُ عَلَيْهِ.

وروى الإمام مسلم (١٧٧١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّخْلَاتِ مِنْ أَرْضِهِ، حَتَّى فُتِحَتْ عَلَيْهِ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ، فَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَعْطَاهُ، قَالَ أَنَسٌ: وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْأَلَهُ مَا كَانَ أَهْلُهُ أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِيهِنَّ، فَجَاءَتْ أُمَّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ، لَا نُعْطِيكَاهُنَّ وَقَدْ أَعْطَانِيهِنَّ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أُمَّ أَيْمَنَ، اتْرْكِيهِ وَلَكَ كَذَا وَكَذَا»، وَتَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: كَذَا، حَتَّى أَعْطَاهَا عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرَةِ أَمْثَالِهِ. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّمَا فَعَلَتْ هَذَا؛ لِأَنَّهَا ظَنَّتْ أَنَّهَا كَانَتْ هِبَةً مُؤَبَّدَةً وَتَمْلِكًا لِأَصْلِ الرَّقَبَةِ، وَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِطَابَةَ قَلْبِهَا فِي اسْتِرْدَادِ ذَلِكَ، فَمَا زَالَ يَزِيدُهَا فِي الْعَوَاضِ حَتَّى رَضِيَتْ، وَكُلُّ هَذَا تَبَرُّعٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِكْرَامٌ لَهَا؛ لِمَا لَهَا مِنْ حَقِّ الْحَضَانَةِ وَالتَّزْيِينَةِ.

وأما ما جاء أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أم أيمن أُمِّي بعد أُمِّي»،
فهذا حديث أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١ / ٨) عن سليمان بن
أبي شيخ معضلاً. وقد كان والدي رَحِمَهُ اللهُ يفيدنا بذلك.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٢٣ / ٢): رُوِيَ بِإِسْنَادٍ وَاهٍ: أن النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول لأم أيمن: «يا أُمُّهُ».

وضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٧٠٥٩).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كبر يزورها، ولازمته وبقيت بعد وفاته صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسة أشهر كما قال ابن شهاب، ومنهم من قال: توفيت في
خلافة عثمان، وبكت بعد فراقه بكاء ليس من البكاء المعروف على فقد

الحبيب، ولكن بكت لانقطاع الوحي من السماء، كما ثبت في «صحيح مسلم»

(٢٤٥٤) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ، نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا

عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ

أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَبْكَى أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ
انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.



فائدة:

الموالي على ثلاثة أقسام:

الأول: الرقيق الذي يعتقه مالكه، هذا المملوك يكون مولى لمن أعتقه.

يُقال: فلان القرشي مولا هم، فلان الطائي مولا هم، الجهني مولا هم، فلان
الدمشقي مولا هم، نسبة ولاء عتاقة، أي: أنه ليس من صلبهم ولكنه كان
عبدًا، فأعتقه قرشي أو طائي أو جهني، .. وهكذا.

الثاني: أن يسلم على يد شخص فيكون مولى للذي أسلم على يديه.

ومن أمثله: الإمام البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن
بردزبه، ينسب إلى الجُعْفِيِّين؛ (لأنَّ جَدَّ أَبِيهِ الْمُغِيرَةَ كَانَ مُحْجُوسِيًّا فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ
الْيَمَانِ بْنِ أَخْنَسَ الْجُعْفِيِّ، وَالِدِ جَدِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ يَمَانَ
الْمُسْنَدِيِّ الْجُعْفِيِّ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ) كما في «فتح المغيث» (٣٥٩/٤).

وقال الحافظ في مقدمة «فتح الباري» (٤٧٧) - وهو يتكلم على (بردزبه) -: ثمَّ أسلم وَلَدَه الْمُغِيرَةَ عَلَى يَدِ الْيَمَانِ الْجُعْفِيِّ، وَأَتَى بُخَارَى فَنُسِبَ إِلَيْهِ نِسْبَةً وَلَاَءٌ؛ عَمَلًا بِمَذْهَبٍ مَنْ يَرَى أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ شَخْصٌ كَانَ وَلَاؤُهُ لَهُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ: الْجُعْفِيُّ لِذَلِكَ.

ومولى إسلام: يكون من حيث المعرفة والمِنَّة، ولا يترتب عليه أحكام.

الثالث: مولى حلف. ومن أمثلته: الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي يقال له: التيمي؛ لأن جده مالك كان عسيفاً عند طلحة بن عبيد الله التيمي، فنسب إليه، مع أنه حميري أصبحي صليبة، ولكن كان جده مالك بن أبي عامر حليفاً لهم.

وَالْحَلِيفُ: الْمُعَاهِدُ، يُقَالُ مِنْهُ: تَحَالَفَا إِذَا تَعَاهَدَا وَتَعَاقَدَا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُمَا وَاحِدًا فِي النُّصْرَةِ وَالْحِمَايَةِ. كما في «المصباح المنير» (١٤٦). وقد أبطل الإسلام الباطل منه، وأقر الحق والعدل الذي فيه.

وللحلف أسباب، منها: ضعف الشخص، فيحالف قبيلة للتعاون معه.

والأغلب في الموالي - كما يقول أهل الحديث - أنه إذا قيل: مولى يقصد به مولى عتق.

فائدة:

طرق تملك الممالك:

- الإرث

- في قتال الكفار يُسبى رجالهم ونساؤهم وذرايرهم.

- الهبة.

- الشراء.



حواضنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أمه آمنة.

أمُّ أيمن.

حليمة السعدية.

ثوية، وهذا كما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثَوِيَّةُ» رواه البخاري (٥٣٧٢)، ومسلم (١٤٤٩) عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجدامة الشفاء بنت الحارث بن عبد العزى - أخت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة -؛ فإنها كانت تساعد أمها حليلة في حضنته، يراجع: «زاد المعاد» (١/ ٨٢).

فهؤلاء خمس من النساء من حواضن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأشهر حواضنه بعد أمه أم أيمن رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وتُسمى الحاضنة: الداية، وَهِيَ الْمُوَكَّلَةُ بِالصَّبِيِّ تَحْفَظُهُ وَتُرَبِّيهِ. كما في «تاج العروس» (٣٤/ ٤٤٣).



من كفل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد موت أمه؟
كفل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جدُّه عبد المطلب، فلما حضرته الوفاة أوصى به إلى أبي طالب؛ لأن أبا طالب شقيق عبدالله، أي: أخوه لأبيه وأمه، والأم

هي: فاطمة بنت عمرو، فهذه المرأة وَلَدَتْ لعبد المطلب: عبدالله وأبا طالب.
ثم توفي عبد المطلب وعُمِّرُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمان سنين.



محبة أبي طالب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لقد ألقى الله في قلب أبي طالب المحبة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعطف والشفقة عليه، وفي ذلك أنزل الله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦]، ولكن لأن هذه المحبة محبة قرابة، وليست محبة دينية، فلم ينفعه ذلك، ولم ينفعه قربته من الخير والوحي.

وفي شأن الذَّابِّين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى رأسهم أبو طالب يقول الله تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦) [الأنعام]، وهذا على أحد التفسيرين.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٣٨٨٣) عن أبي طالب: وَكَانَ يَذُبُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُرُدُّ عَنْهُ كُلَّ مَنْ يُؤْذِيهِ، وَهُوَ مُقِيمٌ مَعَ ذَلِكَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبًا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ)، وَأَخْبَارُهُ فِي حَيَاتِهِ وَالذَّبُّ عَنْهُ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ،
وَمِمَّا اشْتَهَرَ مِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ:

وَاللَّهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ... حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا. اهـ.

ومن غضب أبي طالب لابن أخيه وحمايته له:

أن قريشًا عند أن أرادوا قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انحاز-للمحفاظ
عليه- إلى الشعب هو ومن معه: بنو هاشم وبنو المطلب، مؤمنهم وكافرهم إلا
أبا لهب- لعنه الله- فإنه ظاهر قريشًا. وبقوا في حصار الشعب ثلاث سنين سنة
سبع من البعثة، وكان لا يأتيهم طعام ولا شراب إلا الشيء اليسير خفية.
ومن لطفه به: رحلته معه إلى الشام.

ومن شدة شفقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه أنه قال: «لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا
لَمْ أَنَّهُ عَنْهُ»، فَزَلَّتْ الْآيَةُ فِي النَّهْيِ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

ولهذا يقول الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢٦/٣): وَلَوْلَا مَا نَهَانَا
اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ لَا سَتَغْفِرُنَا لِأَبِي طَالِبٍ وَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ.



من الحِكم في عدم إسلام أبي طالب

أنه لو أسلم لما كان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حصانة وحماية، وقد
كان أبو طالب مُبَجَّلًا في قومه، فلو أسلم لزال ذلك، والله أعلم.

قال ابن كثير في «الفصول»: وصان الله رسوله وحماه بعمه أبي طالب؛ لأنه
كان شريفًا مطاعًا فيهم، نبيلًا بينهم، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر
محمد صلى الله عليه وسلم؛ لما يعلمون من محبته له، فكان من حكمة الله
بقاؤه على دينهم؛ لما في ذلك من المصلحة. اهـ.



شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب

عنه:

وهذا كما أخرج البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) عن العباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ،
فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوَطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا
لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».



بحيرا الراهب:

ضبط اسم بُحيرا: قال المباركفوري في «تحفة الأحوذى» (١٠ / ٦٤): اسْمُهُ
بُحَيْرًا بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ الْحَاءِ مَمْدُودًا عَلَى الْمَشْهُورِ، لَكِنْ ضَبَطَهُ الشَّيْخُ الْجَزَرِيُّ
بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهِمْلَةِ وَيَاءٍ سَاكِنةٍ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَالْفِ مَقْصُورَةٍ، وَهُوَ
زَاهِدُ النَّصَارَى.

- وهل تثبتُ صُحبة بحيرا الراهب؛ لكونه كان مؤمناً بالنبي صلى الله عليه
وسلم قبل بعثته؟

قال الحافظ في «الإصابة»: بُحيرا الراهب ذكره ابن منده، وتبعه أبو نعيم،
وقصّته معروفة في المغازي، وما أدري أدرك البعثة أم لا؟

لكنه جزم الحافظ ابن حجر في «مقدمة الإصابة» أنه لم يدرك المبعث، فقد قال في تعريف الصحابي: وأصح ما وقفت عليه: أن الصحابي من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على الإسلام.

ثم ذكر فوائد قيود هذا التعريف.

ثم قال: وهل يدخل من لقيه منهم - من أهل الكتاب - وآمن بأنه سيُبعث أو لا يدخل؟ محلُّ احتمال. ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه.

وجزم الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١٥٣/٢) ترجمة سعيد بن عقبة بذلك، وقال: بحيرا لم يدرك المبعث.

وكتبتُ عن والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ الْآتِي: بحيرا الراهب: ليس بصحابي؛ لأنه رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة.



فائدة:

القراض: أن يدفع رجلٌ المال إلى رجلٍ آخر يعمل فيه على نسبة معينة، إما الربع، أو الثلث، أو النصف وما أشبه ذلك. والقراض يقال له أيضًا: المضاربة.

قال النووي في «تحرير ألفاظ التنبيه»: القراض - بكسر القاف - مُشتَقٌّ من القرض، وهو القطع، سمي بذلك؛ لأن المالك قطع للعامل قطعة من ماله يتصرّف فيها وقطعة من الربح، وسمي القراض مُضاربة؛ لأن العامل يضرب في الأرض؛ للتجار، يُقال: ضرب في الأرض، أي: سافر، قال الأزهري: أهل الحجاز يسمونه قراضًا، والعراق مُضاربة.



التكافؤ في السن عند الزواج

تزوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وكانت في سن الأربعين، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن خمس وعشرين، فهي أكبر منه بخمسة عشر عامًا.

في هذا دليل على أنه لا يلزم التكافؤ في السن.

وقد تزوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهو فوق الأربعين، وعقد عليها وهي ابنة ست، وبنى عليها وهي ابنة تسع سنين.

* ولا بأس بمراعاة المكافأة في السن؛ وذلك لما رواه النسائي رحمه الله تعالى (٣٢٢١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَاطِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا صَغِيرَةٌ»، فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ. وهو في «الصحيح المسند» (١٤٨) لوالدي رَحِمَهُ اللهُ.



هل يجوز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح؟

ثبت في «صحيح البخاري» (٥١٢٠) من طريق ثابت البناني عن أنس بن مالك جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْرِضُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَكِ بِي حَاجَةٌ، فَقَالَتْ بِنْتُ أَنَسٍ: مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا وَاسْوَأَتَاهُ وَاسْوَأَتَاهُ، قَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكَ رَغِبْتُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا.

(وَاسْوَأَتَاهُ) السوأة: الفضيحة.

قال العيني في «عمدة القاري» (١١٣/٢٠): فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ عَرْضِ الْمَرْأَةِ
نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَتَعَرُّفِ رَغْبَتِهَا فِيهِ؛ لِمَصْلَاحِهِ وَفَضْلِهِ، أَوْ لِعِلْمِهِ
وَشَرَفِهِ، أَوْ لِمُخَصِّلَةٍ مِنْ خِصَالِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا عَارَ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ، بَلْ ذَلِكَ
يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهَا، وَبَنَتْ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا نَظَرَتْ إِلَى ظَاهِرِ الصُّورَةِ
وَلَمْ تَدْرِكْ هَذَا الْمَعْنَى، حَتَّى قَالَ أَنَسُ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَأَمَّا الَّتِي تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ لِأَجْلِ غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ
فَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَمْرِ وَأَفْضَحُهُ. اهـ.

فَلِلْمَرْأَةِ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْحِكْمَةِ،
وَالْحَذَرِ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْفِتْنَةِ، وَمِرَاعَاةِ الْأَوْلِيَاءِ.



من صيانة الله وحفظه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة:

صيانته له من صغره عن خصال الجاهلية، وصفاتهم الرذيلة، وأفعالهم
المنكرة، كعبادة الأصنام وشرب الخمر، والزنى، والأخلاق الذميمة، مثل:
نهب الأموال، والسرقة، والكذب، وقد كانت هذه منتشرة في الجاهلية،

وصان الله سبحانه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، حتى إنهم كانوا
يلقبونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصادق الأمين، كما في هذا الحديث: (فَجَاءَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ).

وعند أن نادى قريشاً فجاءوا فقال: لو أخبرتكم بشيء أكنتم مصدقي، فقالوا:
(ما جربنا عليك كذباً) شهدوا له بالصدق مع أنهم أعداؤه، فقال: فَإِنِّي نَذِيرٌ
لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبَّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَهَذَا جَمَعْتَنَا؟
فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ
(٢)﴾ [المسد: ١-٢]. أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

-ومن صيانة الله له ما أخرج البخاري (٣٦٤)، ومسلم (٣٤٠) عن جابر بن
عبدالله رضي الله عنهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ
الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ»، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ
إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَى مَنْكَبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ، قَالَ: «فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ،
فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ بَعْضِ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَصُونًا مُحْمِيًّا فِي صِغَرِهِ عَنِ الْقَبَائِحِ وَأَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ.



معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]

هذا ليس من الضلال الذي هو ضد الهدى، ولكن المراد أنه لم يكن عالماً بنزول الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)﴾ [يوسف: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ [النساء].

(٨) مقتطف من دروس الفصول في سيرة الرسول

فائدة لغوية:

الْمُبْعَثُ مِنَ الْبَعْثِ، وَأَصْلُهُ الْإِثَارَةُ، وَيُطْلَقُ عَلَى التَّوَجِيهِ فِي أَمْرِ مَا، رِسَالَةٌ أَوْ حَاجَةٌ، وَمِنْهُ: بَعَثْتُ الْبَعِيرَ، إِذَا أَثَرْتُهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَبَعَثْتُ الْعَسْكَرَ إِذَا وَجَّهْتُهُمْ لِلْقِتَالِ، وَبَعَثْتُ النَّائِمَ مِنْ نَوْمِهِ إِذَا أَيْقَظْتَهُ. اهـ.



فائدة:

الحكمة من إرسال الرسل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (١٩ / ٩٩):
وَالرَّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ فِي إِصْلَاحِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا صَلَاحَ لَهُ فِي آخِرَتِهِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الرَّسَالَةِ، فَكَذَلِكَ لَا صَلَاحَ لَهُ فِي مَعَاشِهِ وَدُنْيَاةٍ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الرَّسَالَةِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مُضْطَرٌّ إِلَى الشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ بَيْنَ حَرَكَتَيْنِ: حَرَكَةٌ يَجْلِبُ بِهَا مَا يَنْفَعُهُ؛ وَحَرَكَةٌ يَدْفَعُ بِهَا مَا يَضُرُّهُ. وَالشَّرْعُ هُوَ النُّورُ الَّذِي يُبَيِّنُ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ وَالشَّرْعُ نُورُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَعَدْلُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَحِصْنُهُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ

كَانَ آمِنًا. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالشَّرْعِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ بِالْحِسِّ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ
يَحْصُلُ لِلْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ؛ فَإِنَّ الْحِمَارَ وَالْجَمَلَ يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الشَّعِيرِ وَالتُّرَابِ،
بَلِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَضُرُّ فَاعِلَهَا فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، كَنَفْعِ الْإِيمَانِ
وَالْتَّوْحِيدِ، وَالْعَدْلِ وَالْبِرِّ وَالتَّصَدَّقِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْأَمَانَةِ وَالْعِفَّةِ، وَالشَّجَاعَةِ
وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَبِرِّ
الْوَالِدَيْنِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَالِكِ وَالْجَارِ، وَأَدَاءِ الْحُقُوقِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ،
وَالْتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَالرِّضَا بِمَوَاقِعِ الْقَدَرِ بِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِهِ
وَالِانْقِيَادِ لِأَمْرِهِ، وَمُؤَالَاةِ أَوْلِيَائِهِ وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِهِ، وَخَشْيَتِهِ فِي الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ، وَالتَّقْوَى إِلَيْهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وَاحْتِسَابِ الثَّوَابِ
عِنْدَهُ، وَتَصَدِيقِهِ وَتَصَدِيقِ رُسُلِهِ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِي كُلِّ مَا أَمَرُوا
بِهِ، مِمَّا هُوَ نَفْعٌ وَصَلَاحٌ لِلْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَفِي ضِدِّ ذَلِكَ شَقَاوَتُهُ وَمَضَرَّتُهُ
فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ. وَلَوْ لَا الرِّسَالَةُ لَمْ يَهْتَدِ الْعَقْلُ إِلَى تَفَاصِيلِ النَّافِعِ وَالضَّارِّ فِي
الْمُعَاشِ وَالْمَعَادِ، فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَشْرَفِ مَنَّةٍ عَلَيْهِمْ: أَنْ أَرْسَلَ
إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، وَبَيَّنَ لَهُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَلَوْ لَا ذَلِكَ
لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ، بَلْ أَشَرَّ حَالًا مِنْهَا، فَمَنْ قَبَلَ رِسَالَةَ اللَّهِ

وَأَسْتَقَامَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَمَنْ رَدَّهَا وَخَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ،
وَأَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ
إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِنَا، يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِ اللَّهِ وَيُزَكِّيْنَا وَيُعَلِّمُنَا الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كُنَّا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا
بِالْحَقِّ} [الأعراف: ٤٣]. وَالدُّنْيَا كُلُّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا أَشْرَقَتْ
عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ، وَأُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَيْهَا، وَلَا بَقَاءَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا مَا دَامَتْ
آثَارُ الرُّسُلِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، فَإِذَا دَرَسَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مِنَ الْأَرْضِ وَانْمَحَتْ
بِالْكُلِّيَّةِ خَرَبَ اللَّهُ الْعَالَمَ الْعُلُويَّ وَالسُّفْلِيَّ وَأَقَامَ الْقِيَامَةَ. وَلَيْسَتْ حَاجَةٌ أَهْلِ
الْأَرْضِ إِلَى الرُّسُولِ كَحَاجَتِهِمْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالرِّيَّاحِ وَالْمَطَرِ وَلَا
كَحَاجَةِ الْإِنْسَانِ إِلَى حَيَاتِهِ؛ وَلَا كَحَاجَةِ الْعَيْنِ إِلَى ضَوْئِهَا، وَالْجِسْمِ إِلَى الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ؛ بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَأَشَدُّ حَاجَةً مِنْ كُلِّ مَا يُقَدَّرُ وَيَخْطَرُ بِالْبَالِ،
فَالرُّسُلُ وَسَائِطُ بَيْنِ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهُمْ السُّفَرَاءُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عِبَادِهِ. وَكَانَ خَاتَمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى رَبِّهِ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ. المراد.



فائدة عن الخلوة في العبادة:

الخلوة في العبادة لها فضيلتها كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ومنهم: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ» رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الخلوة في العبادة، الصلاة، عند تلاوة القرآن، وطلب العلم، هذا أبعد من الرياء، وعون على الخشوع، وجمع القلب؛ ولهذا الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)} [المزمل: ٦]، ساعة هدوء الناس، ونوم الأطفال، فيتواطأ قلبه مع لسانه، ويجد ثمرة وبركة في جهده ووقته.

وقد حُبَّ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الخلاء قبل نزول الوحي؛ فلهذا كان يذهب إلى الغار - وهو غار حراء -، ويتعبد لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: حُبِّتِ الْعُزْلَةَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
لِأَنَّ مَعَهَا فَرَاغَ الْقَلْبِ، وَهِيَ مُعِينَةٌ عَلَى التَّفَكُّرِ، وَبِهَا يَنْقَطِعُ عَنْ مَأْلُوفَاتِ
الْبَشَرِ، وَيَتَخَشَّعُ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



فائدة:

ما اسم الغار الذي كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتعبد فيه؟

اسم الغار هو غار حراء. قال الفيومي في «المصباح المنير» (٤٥٦): وَالْغَارُ
الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ فِي جَبَلِ حِرَاءٍ، وَالْغَارُ
الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، وَهُوَ مُطَّلٌّ عَلَى مَكَّةَ. اهـ.

وهذا هو المذكور في قوله تَعَالَى: {ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} [التوبة: ٤٠].

وجبل حراء كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٣٢ / ٢): أطول جبل بمكة.

* وَالْغَارُ كما في «المصباح المنير» (٤٥٦): مَا يُنْحَتُ فِي الْجَبَلِ شِبْهَ الْمَغَارَةِ، فَإِذَا
اتَّسَعَ قِيلَ: كَهْفٌ، وَالْجُمُعُ غَيْرَانٌ، مِثْلُ نَارٍ وَنِيرَانٍ.



فائدة:

هل من المشروع لنا تخصيص غار حراء بالعبادة فيه؟

التعبد في غار حراء لم يفعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد البعثة، كما هو ظاهر حديث عائشة، ونصه: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ... الحديث أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

فدلَّ هذا أنه لا يُشرع تخصيص هذا الغار بعبادة فيه، فلا يجوز لأحد أن يذهب ويتعبد في ذلك الغار ويقول: أتأسى بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فإن هذا لم يفعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد بعثته، وإنما كان يذهب إليه قبل البعثة.

قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣٣٣): فتحته وتعبده
بغار حراء كان قبل المبعث، ثم إنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته، وفرض على
الخلق الإيمان به وطاعته واتباعه، وأقام بمكة بضع عشرة سنة، هو ومن آمن
به من المهاجرين الأولين، الذين هم أفضل الخلق، ولم يذهب هو ولا أحد من
أصحابه إلى حراء.



فائدة:

في أي شهر بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

الشهر الذي بعث فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو شهر رمضان. كما قال
تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥].

وفي أي يوم بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

وكان مبعثه يوم الاثنين، كما في «صحيح مسلم» (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ
الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ
يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ.

قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/٧٦): وَلَا خِلَافَ أَنَّ مَبْعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ.

وكم كان عمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين بعث؟

كان سن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما نزل عليه الوحي أربعين
سنة.

قال الشوكاني في «فتح القدير» - تفسير سورة الأحقاف - : قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَمْ
يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.



فائدة:

هل جاء تحديد اليوم الذي أنزل فيه القرآن من رمضان؟

حديث عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ». رواه أحمد (٢٨/١٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٩٤) وغيرهما من طريق عِمْرَانَ - وهو ابن داور - أَبِي الْعَوَّامِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، بِهِ. وعمران بن داور مختلف فيه، والراجح ضعفه.

ولكن له شاهد عن ابن عباس أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠٢/٦) من طريق علي - هو ابن أبي طلحة - عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت الصحف على إبراهيم في ليلتين من شهر رمضان، وأنزل الزبور على داود في ست من رمضان، وأنزل التوراة على موسى لثمان عشرة من رمضان، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لأربع وعشرين من رمضان.

وعلي بن أبي طلحة لم يلتق ابن عباس، ولكنه يتقوى به حديث وائلة.

- وقوله: «وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ» أي: ليلة ٢٥؛ لأنها التي أقبلت بعد أن خلت ليلة ٢٤.

والحديث ذكره الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٥).



فائدة:

معنى الأشد:

قال الشوكاني في «فتح القدير» - تفسير سورة الأنعام -: اختلف أهل العلم في الأشد. فقال أهل المدينة: بلوغه وإيناس رُشدِه.

وقال أبو حنيفة: خمس وعشرون سنة.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو البلوغ.

وقيل: إنه انتهاء الكهولة، ومنه قول سحيم الرياحي:

أخو خمسين مجتمع أشدي ... ونجّدي مداورة الشؤون

وَالْأَوَّلَى فِي تَحْقِيقِ بُلُوغِ الْأَشَدِّ: أَنَّهُ الْبُلُوغُ إِلَى سِنِّ التَّكْلِيفِ مَعَ إِيْنَاسِ الرُّشْدِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي تَصَرُّفَاتِهِ بِإِلَهِ سَالِكًا مَسْلَكَ الْعُقَلَاءِ، لَا مَسْلَكَ أَهْلِ السَّفَةِ وَالتَّبَذِيرِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَابْتَئِلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، فَجَعَلَ بُلُوغَ النِّكَاحِ، وَهُوَ بُلُوغُ سِنِّ التَّكْلِيفِ مُقَيَّدًا بِإِيْنَاسِ الرُّشْدِ.



فائدة:

هل ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ التَّرْدِيَّ مِنْ شَوَاهِقِ

الْجِبَالِ عِنْدَ فَتُورِ الْوَحْيِ؟

جاء عند البخاري برقم (٦٩٨٢) قال: (وَفَتَرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِيمَا بَلَغَنَا-، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا؛ كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ؛ لَكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِدَلِكْ جَأْشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ،

فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ).

قال الحافظ رحمه الله تعالى في «فتح الباري»: إن القائل: (فيما بلغنا) هو الزهري. اهـ. فهذه اللفظة هي من بلاغات الزهري رحمه الله تعالى.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في «السلسلة الضعيفة» (١٠ / ٤٥٣):
يعني: أنه ليس بموصول.

وحكم الشيخ الألباني رحمه الله على المتن بالنكارة، وأنه قد جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتفق عليه «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا».

ما الحكمة من فتور الوحي ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري» (٣) ما يلي: وَفُتُورُ الْوَحْيِ: عِبَارَةٌ عَنْ تَأْخُرِهِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ لِيَذْهَبَ مَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُ مِنَ الرَّوْعِ، وَلِيَحْصُلَ لَهُ التَّشَوُّفُ إِلَى الْعَوْدِ.



فائدة:

ما أول ما نزل من القرآن؟

عائشة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تقول: أول ما نزل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ
(١)﴾ [العلق: ١]، الخمس الآيات الأولى من سورة العلق.

وفي حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه الخمس الآيات من سورة
المدثر، كما روى البخاري (٤٩٥٤) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ
الْوَحْيِ -: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ
الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَفَرَّقْتُ مِنْهُ
فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَدَثَرُوهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ
فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)} [المدثر:
١-٥]».

فيجمع بين الدليلين: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نبي بسورة
العلق، وأرسل بالمدثر.



فائدة:

من أول من أسلم من الصحابة رضوان الله عليهم؟

أول من آمن من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النص جاء أن أول من أسلم خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما جاءه الملك وأنزل عليه القرآن رجع يرجف فؤاده، ثم آمنت بذلك، وثبتت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهي أول من آمن مطلقاً، وقد نصَّ على ذلك ابن كثير في «الفصول» حيث قال: (فهي أول صديق له رضي الله تعالى عنها وأكرمها)، فهذا من مناقبها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وقال رحمه الله في «مختصر علوم الحديث»: وادعى الثعلبي المفسر على ذلك الإجماع قال: وإنما الخلاف فيمن أسلم بعدها. اهـ.

- ويذكر أهل المصطلح تفصيلاً: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن الأرقاء بلال بن رباح رضي الله عنهم جميعاً.

أول من أظهر إسلامه:

أخرج ابن ماجه (١٥٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ
إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَارٌ، وَأُمُّهُ
سُمَيَّةٌ، وَضُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ
فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَالْبَسُوهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُواهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا
مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ
فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي
شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

والحديث حسن؛ من أجل عاصم بن أبي النجود، وقد حسنه والذي رَحِمَهُ اللَّهُ
في «الصحیح المسند مما ليس في الصحيحين» رقم (٨٤٧).



فائدة:

هل ورقة بن نوفل صحابي؟

نعم ورقة بن نوفل صحابي، وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها، فهو: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصي بن كلاب بن مرة، وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي بن كلاب بن مرة، ويلتقيان مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قُصي، وهما أقرب إلى قُصي بواحد.

أخرج الحاكم في «المستدرک» (٦٦/٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ»، وسنده صحيح، رجاله كلهم ثقات. وذكره الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحه» (٤٠٥).



في قول ورقة بن نوفل رضي الله عنه: «هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ»، لماذا ذكر رسالة موسى دون عيسى عليهما السلام؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري» شرح هذا الحديث: وَقَوْلُهُ: (عَلَى مُوسَى) وَلَمْ يَقُلْ: عَلَى عِيسَى، مَعَ كَوْنِهِ نَصْرَانِيًّا؛ لِأَنَّ كِتَابَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَحْكَامِ، بِخِلَافِ عِيسَى. وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ لِأَنَّ مُوسَى بُعِثَ بِالنِّقْمَةِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ،
بِخِلَافِ عِيسَى. كَذَلِكَ وَقَعَتِ النِّقْمَةُ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِفِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَمَنْ مَعَهُ بَبْدَرٍ. أَوْ قَالَهُ تَحْقِيقًا
لِلرَّسَالَةِ؛ لِأَنَّ نُزُولَ جِبْرِيلَ عَلَى مُوسَى مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ، بِخِلَافِ
عِيسَى فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُ.

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/١٣): وَلَمْ يَذْكُرْ -أَي وَرَقَةَ-
عِيسَى وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا بَعْدَ مُوسَى؛ لِأَنَّهُ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ مُتِمَّةً وَمُكَمَّلَةً
لِشَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَنَسَخَتْ بَعْضَهَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِ
الْعُلَمَاءِ. كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].
قال: وَقَوْلُ وَرَقَةَ هَذَا كَمَا قَالَتِ الْجُنُّ: (يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ
مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأحقاف:
٣٠]. اهـ.

(٩) مقتطف من دروس الفصول في سيرة الرسول

سبب اشتداد أذى المشركون للمسلمين قبل الهجرة:

وقد كان سبب اشتداد أذى المشركين للمسلمين أنهم رأوا انتشار الإسلام، وكثرة من يسلم فاغتاظوا لذلك، وازداد أذاهم، شأن الأعداء أنهم يغيظهم ظهور الحق وانتشاره، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ومما استفدنا من والدي الشيخ مقبل رحمه الله تعالى: الدَّعْوَةُ إِذَا قَوِيَتْ كَثُرَ أَعْدَاؤُهَا.

فائدة لغوية:

الفتنة: الابتلاء والاختبار. قال الحافظ في «فتح الباري» شرح أول كتاب الفتن، وتبويب حديث (٧٠٤٨): قال الراغب: أصل الفتن: إدخال الذهب في النار؛ لتظهر جودته من رداءته. ويستعمل في إدخال الإنسان النار، ويطلق على العذاب. كقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤].

وعلى ما يحصل عند العذاب، كقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

وعلى الاختبار. كقوله تعالى: ﴿وَفْتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

وفيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وفي الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، أي: يوقعونك في بليّة وشدة في صرفك عن العمل بما أوحى إليك.

وقال أيضاً: الفتنة تكون من الأفعال الصادرة من الله، ومن العبد، كالبليّة والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية، وغيرها من المكروهات؛ فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة. وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي مذمومة، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة، كقوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠]، وقوله: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢]، وقوله: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، وكقوله: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال غيره: أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتّحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.



موانع التكفير:

الأول: الإكراه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ﴿النحل: ١٠٦﴾.

الثاني: الخطأ، فإذا سبق اللسانُ إلى كلمة كُفْرِيَّة لا يضر، قال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ﴿الأحزاب: ٥﴾.

وفي معناه مَنْ أغلق على عقله وغطَّى عليه، بسبب غضبٍ، أو فرح، أو سُكْرِ، ونحو ذلك روى البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩) عن عليٍّ رضي الله عنه أن حمزة سَكِرَ، فقال حمزة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولمن معه من الصحابة: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟

الثالث: الجهل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿الإسراء: ١٥﴾.

الرابع- وهو الأخير-: التأويل السائع، هناك تأويلات لا تُبرّر العذر لصاحبها، مثل: أن ينكر شيئاً معلوماً من الدين ضرورة، كإنكار البعث وجحد الصلوات الخمس وما أشبه ذلك.

إلا إذا كان حديث عهدٍ بإسلام، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «القواعد المثلى» (٨٩): قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام، حتى يُبين له. اهـ.

* والتكفير مسألة خطيرة جدًّا يُرجع فيها إلى العلماء، لأنهم السادة والقادة، وهم الذين يُقيمون الحُجج كما قال تعالى: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].



ما هو الجُعَل الذي جاء في السيرة ذكره؟

قال الدّميري في «حياة الحيوان الكبرى» (٢٨١ / ١): الجُعَل ك(صُرَد، ورُطَب)، جمعه جِعْلان بكسر الجيم والعين ساكنة.

والناس يسمونه أبا جَعْران؛ لأنه يجمع الجعر اليابس، ويدخره في بيته.

وهو أكبر من الخُنْفساء، شديد السواد، في بطنه لون حمرة، للذكر قرنان، يوجد كثيراً في مراح البقر والجواميس، ومواضع الروث. ويتولد غالباً من أخشاء البقر، ومن شأنه جمعُ النجاسة وادّخارها.

ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب، فإذا أُعيد إلى الروث عاش، وله جناحان لا يكادان يُريان إلا إذا طار، وله ستة أرجل وسنام مرتفع جداً. وهو يمشي القهقري، أي: يمشي إلى خلف، وهو مع هذه المشية يهتدي إلى بيته. وإذا أراد الطيران تنفّس فيظهر جناحاه فيطير، ومن عادته أن يحرس النيام، فمن قام لقضاء حاجته تبعه؛ وذلك من شهوته للغائط؛ لأنه قُوته. اهـ المراد.

و(الخُنْفساء) الخُنْفساء: دويبة سوداء متنتة. كما في «شمس العلوم»

(١٨٦٣/٣).

(أخشاء البقر) خَشَى الْبَقْرُ خَشْيًا مِنْ بَابِ رَمَى، وَهُوَ كَالْتَّغَوُّطِ لِلْإِنْسَانِ. كما في «المصباح المنير» (١٦٤).

(وريح الطيب) وهذا كما قال ابن الوردي في «لاميته»:

أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَبَثًا... إِنَّ طِيبَ الْوَرْدِ مُؤَذِّ بِالْجُعَلِ



لماذا لم يكن هناك نفاقٌ اعتقادي في مكة قبل الهجرة؟

جزم أهل العلم أنَّ مكة قبل الهجرة لم يكن فيها نفاقٌ اعتقادي؛ لضعف

المسلمين، ولا يُسلم فيها إلا مَنْ كان عن رغبة في الإسلام.

وقد فصل ابنُ كثير في «تفسيره» بكلامٍ يُستفادُ منه تاريخ ظهور النفاق

الاعتقادي - أعاذنا الله منه -، ما نصه:

قال في تفسير قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا

هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)} [البقرة: ٨]: إِنَّمَا نَزَلَتْ صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ فِي السُّورِ الْمَدَنِيَّةِ؛

لِأَنَّ مَكَّةَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نِفَاقٌ، بَلْ كَانَ خِلَافُهُ مِنَ النَّاسِ مَنْ كَانَ يُظْهَرُ الْكُفْرَ

مُسْتَكْرَهًا، وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مُؤْمِنٌ.

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَأَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ

مِنْ قَبِيلَتِي الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَقَلَّ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ نِفَاقٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدُ شَوْكَةٌ

تُخَافُ، بَلْ قَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَادَعَ الْيَهُودَ وَقَبَائِلَ كَثِيرَةً مِنْ أَحْيَاءِ
الْعَرَبِ حَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ وَأَظْهَرَ اللَّهُ كَلِمَتَهُ وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ
وَأَهْلَهُ. ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَلُولَ -وَكَانَ رَأْسًا فِي الْمَدِينَةِ- وَهُوَ
مِنَ الْخُزْرَجِ وَكَانَ سَيِّدَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يُمْلِكُوهُ
عَلَيْهِمْ، فَجَاءَهُمُ الْخَيْرُ وَأَسْلَمُوا، وَاشْتَغَلُوا عَنْهُ فَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ
وَأَهْلِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ قَالَ: هَذَا أَمْرُ اللَّهِ قَدْ تَوَجَّهَ، فَأَظْهَرَ الدُّخُولَ فِي
الْإِسْلَامِ وَدَخَلَ مَعَهُ طَوَائِفُ مَنِّ هُوَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَنَحْلَتِهِ، وَآخَرُونَ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ.

قَالَ: فَمِنْ ثَمَّ وَجَدَ النِّفَاقَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ.
قَالَ: فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ نَافِقٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُهَاجِرُ
مُكْرَهًا، بَلْ يَهَاجِرُ فَيَتْرَكُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَرْضَهُ؛ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ فِي الدَّارِ
الْآخِرَةِ. اهـ.



ترجمة مختصرة لم عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

* سمية: ابنة خبّاط، بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة، ويقال: بمثناة تحتانية، وعند الفاكهي: سمية بنت خبط، بفتح أوله بغير ألف، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، والدّة عمار بن ياسر، كانت سابعة سبعة في الإسلام. اهـ المراد من «الإصابة» (١٨٩/٨).

ويذكر أهل السير أنه مرّ بها أبو جهل فطعنها في قُبْلِها فماتت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بسبب ذلك، وأنها أول شهيد في الإسلام، ولكنه من حيث السند رواه مجاهد مرسلاً، وهذا نصه: عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَوَّلُ شَهِيدٍ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ عَمَّارٍ سُمَيَّةٌ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ فِي قُبْلِهَا. رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢٠٨/٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٢/٢) واللفظ له.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كَمَا فِي «البداية والنهاية» (٥٩/٣): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: أَوَّلُ شَهِيدٍ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ عَمَّارٍ سُمَيَّةٌ، طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ فِي قُبْلِهَا.

قال الحافظ ابن كثير عقبه: وَهَذَا مُرْسَلٌ.

وقال الحافظ في «الإصابة» (١٩٠/٨): وهو مرسل، صحيح السند. اهـ.



هل كان المشركون يؤذون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمكة قبل

الهجرة؟

جاء في حديث رواه ابن ماجه (١٥٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ)، لكن هذا ليس معناه أنه لم يؤذَ إطلاقاً، ولكن من أذية الكفار البالغة المتوالية، قال الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» (١/٤٩٨): «فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله» من أذية الكفار البالغة المتوالية، فلا ينافي وطء عتبة رقبته وسب أبي جهل، ونحو ذلك.

وذكر الحافظ في «فتح الباري» شرح تبويب حديث (٣٨٥٢): أنه أُجِيبَ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا أُوذِيَ بِهِ أَصْحَابُهُ كَانَ يَتَأَذَّى هُوَ بِهِ؛ لِكَوْنِهِ بِسَبَبِهِ، وَاسْتَشْكَلَ أَيْضًا بِمَا أُوذِيَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْقَتْلِ، كَمَا فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَوَلَدِهِ يَحْيَى، وَيُجَابُ بِأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا غَيْرُ إِزْهَاقِ الرُّوحِ.

والأدلة كثيرة التي تدل أنه كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤذى، وقد يسر الله
بجملة منها في كتابي «الصحيح المسند من الشئائل المحمدية»، ونقتصر هنا
على ثلاثة من الأدلة:

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«لَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ،
وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِإِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبْطُ بِلَالٍ»
رواه ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ (١٥١).

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا
قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ؟
قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ! وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ
عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ!
فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ
رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ
اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ
لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ:

ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأُخْشَبِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

* عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ. رواه البخاري (٣٦٧٨).



فائدة:

من محاسن ومناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقة قلبه، ورحمته، وعطفه على الأرقاء؛ وقد كان معروفاً حتى عند الأعداء بالكرم والسخاء والصفات الحميدة، ومن أجل أعماله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فك الرقاب المستضعفة، فقد كان إذا

مر بأحد من الموالى يُعَذَّبُ، يشتريه من مواليه، ويعتقه؛ ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيّدنا، وأعتق سيّدنا بلالا. رواه البخاري (٣٧٥٤).
والذين أعتقهم رضي الله عنه هم: بلال، وأُمُّه حَمَامَةُ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَأُمُّ عُبَيْسٍ، وَزُهَيْرَةُ، وَالنَّهْدِيَّةُ، وَأَبْنَتُهَا، وَجَارِيَةُ لِبْنِي عَدِيٍّ، كَانَ عُمَرُ يُعَذِّبُهَا عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ. فهؤلاء ثمانية موالى لأبي بكرٍ -ولاء عتق- رضي الله عنهم أجمعين، ست نسوة، واثنان من الرجال.



أول من أسلم من النساء بعد خديجة رضي الله عنها:

روى البخاري (٣٨٦٧) من طريق قيس -وهو ابن أبي حازم- قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ لِلْقَوْمِ: لَوْ رَأَيْتَنِي مُوثِقِي عُمَرَ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنَا وَأُخْتُهُ وَمَا أَسْلَمَ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا انْقَضَ لِمَا صَنَعْتُمْ بَعَثَانِ لَكَانَ مُحَقَّقًا أَنْ يَنْقُضَ.

وفاطمة بنت الخطاب يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري» تحت رقم (٧٦٣) عن أُمِّ الْفَضْلِ: اسْمُهَا لُبَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ، يُقَالُ: إِنَّهَا أَوَّلُ امْرَأَةٍ أَسْلَمَتْ بَعْدَ خَدِيجَةَ. قال: وَالصَّحِيحُ أَخْتُ عُمَرَ زَوْجِ سَعِيدِ بْنِ

زَيْدٍ؛ لِمَا سَيَأْتِي فِي الْمَنَاقِبِ مِنْ حَدِيثِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَعُمَرَ مُوثِقِي وَأُخْتَهُ عَلَى
الْإِسْلَامِ، وَاسْمُهَا فَاطِمَةُ. اهـ المراد.

فيكون أول من أسلم من النساء خديجة رضي الله عنها.

وأول من أسلم من النساء بعد خديجة: فاطمة بنت الخطاب. وأول شهيدة في
الإسلام سمية رضي الله عنهن أجمعين.



فائدة:

فيمن نزل قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨)
وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) ﴿[الليل: ١٧-١٩]؟

وجاء عند ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية: عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ
أَعْتَقَ سَبْعَةَ كُلِّهِمْ يَعَذِّبُ فِي اللَّهِ، بِلَالٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالنَّهْدِيَّةَ، وَابْتَتَهَا،
وَزَيْنَةَ، وَأُمَّ عَيْسَى وَأَمَةَ بَنِي الْمُؤَمِّلِ، وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ إِلَى
آخِرِ السُّورَةِ.

وهذا مرسل؛ لأن عروة تابعي وحكي شيئاً على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يشهده.

وسبب نزول هؤلاء الآيات قد حُكي ذلك إجماعاً، قال ابنُ الجوزي في «زاد المسير» في تفسير هذه الآية: يعني: أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين.

وقال الحافظ ابنُ كثير في «تفسيره» (٨/٤٢٢): قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ.

قال: وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا وَأَوَّلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا؛ فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩)﴾ [الليل: ١٧-١٩]، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا بَذَّالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمٍ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا؛ ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَهُوَ

سَيِّدُ ثَقِيفٍ يَوْمَ صَلَحِ الْحَدِيثِ: أما والله لو لا يدُ لك كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا
لَأَجَبْتُكَ.

وَكَانَ الصَّدِيقُ قَدْ أَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ، فَإِنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ
وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى
(٢١)﴾ [الليل: ١٩-٢١].

